اضطهاد اليهود عبر التاريخ

حقيقته و أسبابه

الأستاذ : فاتح حليمي

جامعة الأمير عبد القادر .قسنطينة.

اضطهاد اليهود عبر التاريخ ، حقيقته و أسبابه

تمهيد :

يكتسي موضوع " اضطهاد اليهود " عبر تاريخهم الطويل أهمية كبرى في مجال الدراسات الدينية المقارنة ، ذلك أن اليهود ما فتئوا يستخدمونه كذريعة لكسب مزيد من التعاطف و التأييد الشعبي و الدولي من أصحاب الديانات الأخرى ، نصرة لقضيتهم في واقعنا المعاصر ، كنوع من التكفير عن ذنوب تاريخية في حقهم من قبل هذه الشعوب ، و الغريب في الأمر أنه في نفس الوقت الذي يطالبون الشعوب الأخرى بالتكفير عن هذه الخطايا المزعومة ، فإن تصرفاتهم و ممارساتهم لا تخرج عن فكرة الاضطهاد للآخر ، بدليل ما يحدث في فلسطين ، و هو ما سيؤدي بنا إلى التساؤل عن حقيقة هذا الاضطهاد الممارس في حق اليهود عبر التاريخ ؟ و كيف تصرفت الشعوب و الأمم الأخرى فعلا مع اليهود ؟ و بعبارة أخرى ، هل كانت مواقف الشعوب و طريقة تعاملها مع اليهود متماثلة ؟ ، و لماذا كانت مواقفهم على تلك الشاكلة ؟ ، و من ثم هل يستحق موضوع " اضطهاد اليهود " كل هذا التهويل ، إلى درجة أن تطالب البشرية كلها بإنصاف اليهود .

و حتى نقدم إجابات وافية ، فإن المنهجية العلمية تحتم علينا استعراض مواقف الشعوب و الأمم الأخرى إزاء اليهود ، عندما عاش هؤلاء بين ظهرانيهم ، لننتهي بالحديث عن الأسباب التي أدت إلى تلك المواقف ، و هل هي ناجمة عن خلل في الشخصية اليهودية نفسها ، أم أن الشعوب و الأمم الأخرى هي التي ظلمت اليهود دون مبرر أو داع ؟

1 . حقيقة اضطهاد اليهود :

تعود الديانة اليهودية أو الموسوية إلى زمن موسى – عليه السلام – ، و الذي نزلت عليه التوراة على شكل ألواح في طور سيناء ، و ذلك بعد خروجهم من مصر و التي قضوا بها قرابة أربعة قرون كاملة ، غير أن اليهود يفضلون العودة بنسبهم إلى أبعد من ذلك ، إلى إبراهيم – عليه السلام – ، و الذي يعدونه من آبائهم الكبار ، و الملاحظ أن القرآن الكريم سجل مخالفته لليهود في ادعائهم هذا ، حيث ذلك نفى الأمر بشكل صريح ، فقال

: (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)[1] ، كما أثبتت الأبحاث العلمية زيف ادعاء اليهود ، لأنهم ما دخلوا العراق إلا بعد أن غادره إبراهيم في تنقلاته بأزيد من ألف سنة ، و في ذلك قال أحد الباحثين " و هكذا ربطوا نسبهم و أصلهم بإبراهيم الخليل و بالعراق على اعتبار أن العراق كان موطنهم الأصلي الذي هاجروا منه ، هذا في حين أن المعلومات التي تركها لنا الأقدمون تدل على أن اليهود ظهروا في العراق لأول مرة في عهد الآشوريين بصفة أسرى في أواخر القرن الثامن و أوائل القرن السابع قبل الميلاد ، أي بعد عصر إبراهيم الخليل بألف و مائتي سنة لأن إبراهيم الخليل ظهر في القرن التاسع عشر قبل الميلاد حسب رأي الخبراء المحدثين"[2] ، و لكن مع ذلك فاليهود يرجعون بداية تاريخهم إلى فترة إبراهيم – عليه السلام – ، و يربطون بداية معاناتهم و اضطهادهم بهذا التاريخ ، حيث أكد أحد اليهود ذلك ، من خلال حديثه عن سيرة إبراهيم ، حيث قال : " ومن يمعن النظر في سيرة إبراهيم وأخلاقه وأفعاله وينظر بينها وبين المشهور عن اليهود اليوم يتضح له شدة ما قاساه هذا الشعب من الضيق والاضطهاد والضغط الشديد حتى تبدلت أخلاقه عما كان عليه أسلافه كإبراهيم ومن جاء بعده ولا عجب في ذلك فثمرة الظلم والاستبداد والضغط واحدة في جميع الشعوب والأمم ولا تقتصر على اليهود ، والتاريخ مشحون بحكايات ما آلت إليه أحوال الشعوب التي منيت بالظلم والاستعباد قرنا بعد قرن وعصرا بعد عصر. "[3] ، و هو بذلك يؤكد قضية اضطهاد اليهود عبر التاريخ ، و التي أرجعها إلى عهد إبراهيم – عليه السلام – ، و بذلك اكتفى بتقديم حكم مطلق عن اضطهاد اليهود ، دون أن يرفقه بالمبررات العلمية المؤيدة له ، في حين اعتبر ما حصل لهم مبررا كافيا للتبدل الحاصل في أخلاق اليهود و سلوكاتهم ، حيث صارت عدوانية ، و كأنه يحق للمظلوم أن يتحول إلى ظالم و طاغية ، بسبب الظلم الذي وقع عليه من قبل .

لقد تحدث التناخ عن تنقلات إبراهيم – عليه السلام – بداية من منطقة أور بالعراق متجها إلى مناطق أخرى تبعا لظروف المعيشة و متطلباتها ، حيث لاقى بعض الصعاب كغيره من البدو الرحل في ذلك التاريخ المتقدم ، كما عانى بعض أبنائه و أحفاده من بعض الصعاب أسوة بغيرهم ممن عاشوا في عصورهم ، و قد تحدث التناخ بعد ذلك عن تواجد اليهود بمصر الفرعونية ، و تنعمهم فيها بخيراتها ، غير أن قدماء المصريين خشوا من تصرفات اليهود ، و لذلك " اضطهد فرعون بني إسرائيل في أيامهم الأخيرة في مصر، فأمر بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، وذلك بسبب الخشية من ازدياد عددهم وقوتهم، ومن عدم الإخلاص في ولائهم للدولة التي استضافتهم، وأحسنت إليهم. فكان يتوجس منهم الخيانة في كل حين" [4]، و قد تحدث التناخ عن ذلك ، حيث جاء فيه :

---

[1] آل عمران ، 67 .

[2] أحمد سوسة ، ملامح من التاريخ القديم ليهود العراق، د.ط ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، بيروت ، لبنان ،2001م ، ص8.

[3] شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين اليهود قديما و حديثا مع تراجم مشاهيرهم شرقا و غربا، سلسلة اليهودية بأقلام يهودية 10 ، د. ط ، دار و مكتبة بيبليون ، لبنان ، 2007م ، ص 8.

[4] جبر الهلول، المواثيق والعهود في ممارسات اليهود، قراءة في الفكر الديني والفكر السياسي اليهودي المعاصر، ص 34.

(فقال لشعبه: انظروا كيف صار بنو إسرائيل أكثر وأعظم منا. تعالوا نحكم القبضة عليهم لئلا يكثروا. فإذا وقعت حرب ينضمون إلى خصومنا ويحاربوننا ويسيطرون على أرضنا)[1]، وبقي اليهود على ذلك الحال ، و في نهاية المطاف قادهم موسى- عليه السلام – في رحلة إنقاذ لهم ، و ذلك بالخروج من مصر ، حيث أكرمهم الله بأن نجاهم من فرعون و بطشه ، ثم مروا بعدها بفترة التيه في صحراء سيناء ، و أعقبها بعد ذلك دخولهم أرض فلسطين تبعا لوعد الرب كما يزعمون ، و قد سجل التناخ الممارسات الهمجية التي قام بها يشوع و جنوده في حق الفلسطينيين الآمنين ، حيث استولى على مدن أريحا و عاي و غيرها، و قتل أهلها و أعدم ملوكها بطريقة وحشية ، و لم تسلم منهم حتى الحيوانات و المواشي و البهائم ، و من ذلك فإن موسوعة الكتاب المقدس تحدثت عن حروب يشوع ، مبينة تلك الروح العدوانية ، فقالت " استولى يشوع على أريحا وألقى الرعب في قلوب الكنعانيين، ثم سقطت عاي في المحاولة الثانية، وسارع أهل جبعون إلى المسالمة فحصلوا بخدعة على معاهدة أمان، الأمر الذي أفضى إلى المرحلة الثانية من الحرب، فأحرز يشوع سلسلة انتصارات في الجنوب "[2]، ثم تمكنوا بعدها من إقامة مملكة لهم بفلسطين ، و التي سرعان ما تهاوت بانقسامها ثم سقوطها لاحقا ، و الذي نجم عنه سبي بعضهم إلى بابل ، و فرار بعضهم الآخر إلى أماكن أخرى من العالم كما تقول الروايات التاريخية ، و حينها عانوا من أشكال من الاضطهاد ، و هو أمر بررته الشريعة اليهودية في تعاملها مع غيرها من الشعوب ، حيث تحدث التناخ عن نوع من المعاهدات ، و هي معاهدات غير متكافئة ، ذلك أنها كانت " تبرم على أساس تعهد القوي بحماية الضعيف، في مقابل أن يصير الضعيف خادما للقوي "[3] ،كما تحدثت الموسوعة المسيحية مبررة لتلك الممارسات القديمة، قائلة : " كانت الشعوب الشرقية قديما تألف عقد معاهدات التبعية هذه، ويقدّم لنا التاريخ المقدس أمثلة كثيرة منها (يشوع 9: 11- 15، 1 صموئيل 11: 1، 2 صموئيل 3: 12- 14). في هذه الحالات، قد يلتمس الضعيف المعاهدة. أما القوي فيوافق عليها، تبعا إلى رغبته، فيملى عليه شروطه (راجع حزقيال 17: 13- 14). ويتم الاتفاق طبقا لمراسيم مقررة في العرف الجاري "[4] ، و هو نفس ما حصل لليهود لاحقا في المناطق التي فروا إليها ، حيث عاشوا كأقليات ، و تشكلوا " في هيئة أقلية مضطهدة ، تعيش أجواء مرضية خانقة من الاضطهاد وإدانة الآخرين لهم، يتجرعون حملات الطرد والتهجير القسري، والتصفيات العرقية العامة والمتكررة، ويواجهون بالاحتقار والمهانة. ويعانون من التمزق النفسي، وما نتج عن ذلك كله من شعور عميق وراسخ بالإحباط والخذلان والردة عن الذات بخصائصها العقدية "[5] ، و هو ما تسبب لهم في ترسبات نفسية ، حيث "

---

[1] الخروج 1 : 9 - 10

[2] موسوعة الكتاب المقدس (دون مترجم، الأصل إنجليزي، جزء واحد، ط1، دار منهل الحياة، منصورية المتن، لبنان، 1993، ص75.

[3] الموسوعة المسيحية العربية الإلكترونية ، شرح ألفاظ كتاب المقدس : عهد، www.albishara.org

[4] نفس المرجع .

[5] عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية، ط1 ، دار عمار للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 2002م ، ص5.

تميزوا بخصائص نفسية واجتماعية عامة مشتركة من الخوف من الأغيار-(رهاب الأجانب Xenophobia) وغياب الشعور الجواني بالطمأنينة Chronic Insecurity والخوف من المستقبل ومن معاودة الشتات والضياع باستمرار Exlic Uncertainity "[1] ، و الذي نتج عن معاناتهم ، سواء في مصر الفرعونية ، أو في الأسر البابلي ، أو في حاراتهم – الغيتو – المختلفة التي عاشوا بها ، سواء في أوربا أو إفريقيا ، أو في غيرها من المناطق.

2 . موقف المسيحيين من اليهود :

اضطرت ظروف كثيرة اليهود إلى التنقل إلى مختلف أنحاء العالم ، منها المناطق الأوروبية ، قصد العيش وسط المسيحيين في حارات خصصتهم لهم ، و ذلك بداية من القرن السادس عشر ، حيث " اندفعت مدن أوروبا الواحدة تلو الأخرى إلى سن قوانين تفرض على اليهود السكن في الجيتو حتى أنه لم يبق مكان في القارة كلها يعدون فيه اليهود بين المسيحيين، أو يختلطون بهم أي اختلاط "[2] ، فتم التضييق عليهم و حصارهم ، ومع ذلك فإنهم " اشتغلوا بالصناعة والزراعة والتجارة ومع أن قسطنطين الكبير لقبهم في منشور قيصري (بالشعب المكروه).[3]" ، هذا و كانت الحارات التي خصصت لهم ، في غالب الأحيان تقع " في أوسع وأردأ البقاع، ولم يكن له منفذ للتوسع رغم ازدياد السكان القاطنين فيه. لذلك كان الجيتو في كل مكان غاصا بالسكان مما سهل انتقال العدوى والأوبئة، وإقامة اليهود الإجبارية فيه ومنع اتصالهم بالمحيط المسيحي سهل انتشار أسوأ الأفكار والانطباعات عن اليهود وحياتهم. لم يكن الجيتو معقل الأوساخ والقاذورات المادية فحسب، بل العيوب الاجتماعية. فكان مركز المومسات وبؤرة الفساد والدسيسة ومقر المتعاملين بالربا. إذن كان يصب اليهودي كل جهده في الحفاظ على حياته. ولم يكن يهمه أن يحقق سلوكه القيم الأخلاقية وذلك لأنه قرر أن الأولوية في كل شيء للبقاء ومستلزماته "[4] ، و في هذا المحيط تم اضطهاد اليهود بشدة ، بحيث أنهم " لم يعترفوا لهم بأية حقوق مدنية، إذ أقصوهم من جميع العلاقات الاجتماعية بين المواطنين، لذلك لم يكن اليهود ليتأثروا بالحركات الفكرية والسياسية والعملية والفنية التي عملت في المجتمعات الأوروبية حولهم. ومن الناحية الدينية، كان هم الكنيسة المسيحية تفريق اليهود عن المسيحيين والحفاظ على هذا التفريق. وكان قسيسوها، من البابا حتى قس القرية يحملون على كل من تعامل مع اليهود من رعيتهم تعاملا سافرا. كما أن المجالس البلدية كانت تحذو حذو مجلس رافينا في إيطاليا حيث قرر سنة 1317 : أنه .. على رجال اليهود وضع دائرة من القماش الأصفر على ظهورهم، وعلى نسائهم وضعها على رؤوسهن، كي يتسنى للكل تمييزهم عن المسيحيين "[5] ، و هو ما يبين المحن التي لاقوها

---

[1] عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية، ص6.

[2] إسماعيل راجي الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ط2، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، 1988م ،ص 24.

[3] شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين، ص 80.

[4] إسماعيل راجي الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص 24.

[5] المرجع نفسه ، ص 23.

، و قد أكد أحد اليهود ذلك ، حيث قال : "ولم يصادف اليهود في أوروبا وغيرها من حسن المعاملة ما لقوه من المسلمين فكانت أيامهم في تلك القارة أيام محن ومصائب ، فإن باسيل الثاني إمبراطور القسطنطينية أثار عليهم اضطهادا عنيفا في القرن الحادي عشر ."[1]

و قد تأثر اليهود بما وقع لهم من اضطهاد و تضييق ، حيث عبر داغوبرت د.رونس عن اعتقاد اليهود مسؤولية المسيحيين عن اللاسامية، واستشهد على ذلك بجملة من الأقوال ، لشخصيات مسيحية لها مكانتها ،منها :

– ما قاله يوحنا الذهبي الفم (344–407م) ، عن أوصاف اليهود الأخلاقية :" (إن اليهود هم أحقر الناس – إنهم فاسقون، جشعون، طماعون–، إنهم قتلة المسيحيين الغادرون. يعبدون الشيطان، وديانتهم مرض. اليهود هم قتلة المسيح البغيضون، ولا تكفير لمن يقتل الله. لا غفران ولا مسامحة. قد لا يوقف المسيحيون انتقامهم أبدا، وعلى اليهود أن يعيشوا في العبودية إلى الأبد. طالما كره الله اليهود، وكل من تعاطى مع اليهود سيرفض يوم الدينونة. على كل المسيحيين أن يبغضوا اليهود) "[2] .

– و كذلك ما قاله أغسطينوس (354–430م) عن صورة اليهودي ، حيث قال: " (الصورة الحقيقية للعبري هي يهوذا الإسخريوطي، الذي باع الرب لأجل الفضة. لا يستطيع اليهود أبدا أن يفهموا الكتابات المقدسة على نحو روحي، وسيحملون إلى الأبد ذنب موت يسوع لأن آباءهم قتلوا المخلص)"[3] .

– و كذلك قول توما الأكويني (1225–1274م) ، و تأكيده على الحكم الذي يستحقونه ، انطلاقا من قناعاته الدينية ، حيث قال: " من الجائز شرعا الإبقاء على اليهود في عبودية دائمة، لأنهم صلبوا الرب "[4].

– و قول مارتين لوثر (1483–1546م) ، و الذي أصدر حكما صارما في حقهم ،فقال: " أحرقوا مجامعهم، وما لا يحترق غطوه أو انتشروا الوسخ عليه لئلا يرى جمرة منه أو حجرا... لكي يرى الله أننا مسيحيون... وكذلك منازلهم، ينبغي أن تهدم وتدمر ... ينبغي أن يوضعوا تحت سقف واحد أو في إسطبل، كالغجر، لكي يدركوا أنهم ليسوا أسيادا في أرضنا كما يتباهون، بل أسرى بائسون، كما يشكون منا بتواتر أمام الله بنواح مر...ينبغي أن يحرموا من كتب الصلاة والتلمود التي تعلم هذه الصنمية والأكاذيب واللعنات وهذا الكفر...على ربانييهم أن يمنعوا عن التعليم تحت طائلة الموت ." [5] ، بل إنه تحول إلى داعية لاستعمال القوة معهم ، ذلك أنه من الواجب

---

[1] شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين، ص 82.

[2] كولن تشابمن، أرض الميعاد لمن؟ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي المستمر، ترجمة : نقولا أبو مراد ، ط1 ، الشركة العالمية للكتاب ، بيروت ، لبنان ، 2004م،ص 77.

[3] نفس المرجع و الصفحة .

[4] نفس المرجع، ص 78.

[5] نفس المرجع و الصفحة .

حسبه " معاداتهم ومعاملتهم بالغلظة، واتهمهم بالكبر والتعالي وإدعائهم الكاذب بأنهم شعب الله المختار، والطهر العرقي والالتزام بشريعة موسى، وإحياء أمل العودة إلى الأرض الموروثة لهم، .. وأكد مجددا وصفهم بأنهم: قتلة الرب، وقتلة الأطفال، ومسممو الآبار قصد نشر الأوبئة بين النصارى وأنهم قوم جبلوا على امتصاص دماء الآخرين ومصابون بقساوة لقلوب وعمى الأبصار وينكرون بشارة عيسى ويتهمونه بأنه ابن زنى من مريم العاهرة وإن المسيحيين خونة لقطاء، وبعد كيل سلسلة هذه الاتهامات لليهود، اقترح خططا عملية يجب على السلطة السياسية الأخذ بها، كحرق معابدهم، وتدمير دورهم، وإتلاف كتبهم المقدسة، ومصادرة أموالهم المنقولة وغير المنقولة، وفرض العمل الإجباري عليهم، حتى إذا لم تجد هذه الوسائل نفعا في قهرهم، لزم عندئذ تهجيرهم قسرا عن الممالك المسيحية."[1] ، و الخلاصة هي أن المسيحيين صاروا " ينظرون إلى اليهود نظرة ملؤها الازدراء والكراهية. وكان يسهل عليهم اتهام اليهود بالخيانة "[2] ، و بذلك أضحى اليهود في أوروبا بشكل عام " يعتبرون كأنهم زنوج أوروبا، وولاية الميسيسيبي الأمريكية وكأنها ألمانية، إذ حرموا من الدخول إلى الجامعات وكان يستهزأ بهم باستمرار من على المنابر، ويرمون بكل الصفات المرذولة في وسائل النشر، بل ويتلقون الإهانات في كل مناسبة "[3] ، و هو ما يكشف موقف المسيحيين بشكل عام من اليهود الذين عاشوا بينهم ، ذلك أن اليهودي في ظل أوروبا المسيحية كان أمام خيارات محدودة "إذ كان يمكنه أن يحارب ويموت أو يتنصل عن دينه الموروث أو يهاجر إلى الشرق الإسلامي حيث لا اضطهاد ولا تفرقة عنصرية."[4]

3 . موقف المسلمين من اليهود :

إن الظروف التي اضطرت اليهود إلى التنقل و الفرار إلى أوروبا ، هي ذاتها التي أرغمتهم على التنقل إلى جهات أخرى ، منها تنقلهم إلى مختلف أنحاء البلاد الإسلامية ، قصد العيش وسط المسلمين ،حيث لوحظ تمتعهم بالأمان و الاستقرار بينهم ، بخلاف ما وقع لهم بأوروبا المسيحية ، و ذلك انطلاقا من تعاليم الإسلام ، و التي اعتبرتهم أهل كتاب و ذمة ينبغي أن تراعى حقوقهم ، و هذه حقيقة تاريخية ثابتة ، أكدها وقررها حتى المؤرخون اليهود ، و من ذلك المؤرخ اليهودي (هيامسون) و الذي وصف حال اليهود في الفتح الإسلامي ، بقوله :" وعمليا، فيما يتعلق بيهود فلسطين، فإن المسلمين قد جاؤوا كمنقذين، وليس كمضطهدين)"[5]، و

---

[1] عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية، اليهودية عرض تاريخي ، ط1 ، دار عمار للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، 2002م ،ص110.

[2] إسماعيل راجي الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص 24.

[3] عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية، ص112.

[4] إسماعيل راجي الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص 24.

[5] هيامسون – مؤرخ يهودي – فلسطين ، ص 15 ، نقلا عن : ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم منذ أول غزو يهودي حتى آخر غزو صليبي، ط6 ، دار النفائس ، بيروت ، لبنان ، 1992م، ص 135.

هو نفس الأمر الذي أكدته دائرة المعارف اليهودية العامة عندما قالت : " إن فتح العرب للبلاد أنقذ يهود فلسطين من الدمار الكامل "[1] ، و هي ذات الحقيقة التي كشفها أحد اليهود ، بقوله ، لقد " أحسن إليهم السلاطين العثمانيون وعاملهم الأتراك بالرفق وكانوا يعتبرونهم أكثر من اليونان فيسمون هؤلاء عبيدا أما اليهود فكانوا يدعونهم ضيوفا وأذنوا لهم بفتح المدارس وإنشاء الكنائس وسمحوا لهم بالسكن في جميع مدن الشرق التجارية الواقعة في المملكة العثمانية وهي الدولة الوحيدة التي شهدوا لها التواريخ العبرانية أنه لم يحصل لليهود اضطهاد فيها "[2] ، كما أكد هذه الحقيقة مجموعة من الكتاب الغربيين ، منهم :

– الكاتب آيسدور أبستاين ،و الذي أكد أن ظروف اليهود تحسنت في العالم الإسلامي ، فقال : " إن مصير اليهود وشأنهم قد تحسن وتطور باستمرار حيثما ساد الهلال، وأنهم تمتعوا بتسامح ديني واسع لا حدود له "[3] .

– و ذات الأمر كرره الكاتب (سلتزر إم. روبرت) ، من خلال حديثه عن تطور الطبقة الوسطى لليهود بين المسلمين ، حيث قال " إن الطبقة الوسطى من اليهود قد وصلت في حجمها وأهميتها ونشاطاتها في العصور الإسلامية، درجة من النمو والاتساع، لم تبلغها قط من قبل في أية حقبة من تاريخ اليهودية "[4] .

و لذلك صار من الثابت أن اليهود في العصور الإسلامية فعلا " قد تمتعوا بأمنهم وحريتهم الدينية وبلغت ثقافتهم عصرها الذهبي، بل وغدت تلك الثقافة في مختلف مظاهرها في العلم والطب وعلم الكلام وفي الفلسفة والتصوف جزءا لا يتجزأ– أحيانا–من الثقافة الإسلامية، سواء في العراق إبان القرن التاسع الميلادي، أو في الأندلس خلال القرنين الحادي عشر، والثاني عشر "[5] ، و بذلك تغيرت أحوال اليهود عندما استظلوا تحت راية الإسلام ، حيث انتقل حالهم " من قتل وتشريد وظلم وحرمان ومصادرات متعاقبة للأموال والممتلكات وموجات اضطهادات متكررة ولدت في الوعي اليهودي العام عقدة الخوف المستمر وعدم الشعور بالطمأنينة وتوجسا ثابتا ومستمرا من الوقوع في قساوة دورة الضياع والشتات في الغرب المسيحي Exilic insecurity، إلى تألق فكري ونمو اقتصادي وتسامح ديني وطمأنينة نفسية مع الإسلام وحملة رسالته، فقد تبوأ العديد من ساسة اليهود وعلمائهم مراكز متقدمة في الدول الإسلامية "[6] ، و خاصة في مصر و العراق و الأندلس .

لقد تنقل اليهود إلى مصر باعتبارها حاضرة من حواضر العالم الإسلامي ، و استفادوا من سماحة الإسلام و سعة صدور المسلمين ، حتى أنهم تقلدوا " مناصب هامة جدا في مصر حتى العصر الحديث، وخصوصا في الدولة

---

1 دائرة المعارف اليهودية العامة ، ج8 ، ص358 ، نقلا عن :ظفر الإسلام خان، تاريخ فلسطين القديم، ص 135.

2 شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين، ص 92.

3 عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية، ص113.

4 عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية، ص113.

5 نفس المرجع، ص112.

6 نفس المرجع، ص114.

الفاطمية، التي نكاد أن نقول إن اليهود هم الذين كانوا يحكمونها من وراء الخليفة "[1] ، أما في مدينة الإسكندرية تمتعت الجالية اليهودية بكل حقوقها المدنية والدينية ، وخلال " النصف الأوّل من القرن العشرين أطلقت أيديهم في الصحافة المصرية فضلا عن الصحافة اليهودية فكان لهم أساتذة في المعاهد المصرية، ولعبوا دورا هاما في مجال المال والاقتصاد، فأثرى عدد كبير منهم، كما كان لهم مقاعد في مجلس النواب المصري، وفي عام 1924 عيّن وزير يهودي للمالية في الحكومة المصرية هو:(يوسف قطاّوي باشا)"[2] .

أما في العراق ، فقد تغلغلوا في جميع نواحي الحياة ، سياسية كانت أم اجتماعية و اقتصادية ، و ازدهرت حياتهم في العصر العباسي ، حيث ارتقوا إلى مراكز مؤثرة ، فقد عمد الخلفاء إلى إعطاء اليهود امتيازات خاصة، إلى درجة أنه كان لهم في العراق مدرستان متخصّصتان بالدراسات اليهودية والتلمودية ، حتى صارتا قبلة لطالبي العلم من جميع أنحاء الشتات العالمي لليهود إبان الحكم العباسي، و قدكان الرئيس الأعلى لهاتين المؤسّستين يدعى " الفون" ، ويعد المصدر الأعلى للفتاوى اليهودية لجميع العالم، كما كان مسؤولا عن الاستئناف وتعيين القضاة اليهود في عموم العالم الإسلامي، ومن أشهر من ارتقى هذا المنصب(سعديا بن يوسف الفيّومي) من الفيوم بمصر [3] ، أمّا الشؤون الدنيوية ، فقد تركت بيد رئيس الشتات ، ومن أشهر من شغل هذا المنصب (صموئيل بن علي) المعروف بأبي الدستور. وقد تحدّث عنه الرّحالة اليهود ممّن عاصروه، و أكدوا امتلاكه لستّين عبدا ، مع عيشه في قصر فخم مغطّى بنفائس السّجاد، ويرتدي ملابس فاخرة موشاة بالذهب، ومن هؤلاء الرّحالة (بنيامين) الذي زار بغداد في حدود سنة 566 هـ 1170م ووصف استقبال الخليفة العباسي له فقال إنّه كان يركب إلى القصر لابسا الحرير الموشّى وعلى رأسه عمامة بيضاء مطرّزة بالجواهر، وتتبعه مجموعة من الفرسان، وكان المنادي يسير في مقدمة الموكب وهو يهتف بالنّاس: افتحوا الطريق، افتحوا الطريق لمولانا ابن داود. وعندما كان الرئيس يدخل البلاط الملكي، كان الخليفة المسلم ينهض من مكانه ويحّييه ويجلسه على كرسّي مقابل له، بينما يقف جميع الأمراء لتحيّته[4] ، و هو ما يكشف المكانة التي وصل إليها اليهود ، و مدى احترام المسلمين لهم ، و هو ما يؤكد اليهود أنفسهم ، حيث قال : "كان اليهود ناعمي البال برعاية الخلفاء والأمراء المسلمين إلا أن المسلمين اضطهدوهم مرتين في المغرب سنة 890 وفي مصر سنة 1010 ب.م. وإنما يقال بالإجمال أن المسلمين عاملوهم بالحسنى واللطف فنجح اليهود وافلحوا ونبغ في تلك العصور كثيرة من الأطباء والفلكيين والمنجمين

[1] ظفر الإسلام خان، التلمود تاريخه وتعاليمه، ص52.

[2] علي خليل، اليهودية بين النظرية والتطبيق " مقتطفات من التلمود و التوراة ، د.ط ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، سوريا ، 1997م ، ص8.

[3] أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص 36 .

[4] علي خليل، اليهودية بين النظرية والتطبيق " مقتطفات من التلمود و التوراة ، ص9.

والكتاب والشعراء والخطباء والفلاسفة لاسيما في الأندلس ولهم اليد الطولى بفضل العرب في حفظ بقايا معارف الأقدمين من اليونان و الرومان و نشرها في أوربا "[1].

و ذات التعامل نعموا به في الأندلس ، حيث رحّب بهم الخلفاء ومنحوهم حقوقا متساوية وحرّية تامة ، وذلك بعد تنقلهم إليها ، قادمين من بغداد إثر الغزو المغولي لها، و قد حمل علماء المدرستين العراقيتين كتبهم وآثارهم وتلامذتهم معهم إلى الأندلس، وهناك تبوأ كثير منهم مناصب عالية في الدّولة منهم (جسداي بن شبروط) ،و الذي خدم الخليفة عبد الرحمن الثالث طبيبا ومستشارا، كما عمل سفيرا للخليفة كونه يجيد العربية واللّاتينية والعبرّية ، و كذلك (صموئيل بن تغدلة) ، والذي لعب دورا مماثلا في غرناطة ، والتي كانت تسّمى (مدينة اليهود) ، لكثرة عدد اليهود فيها ، كما برز علماء وفلاسفة يهود في هذه الفترة، حيث شاركوا العرب المسلمين في تدوين وترجمة الكتب اليونانية منهم (إبراهيم بن داود) في طليطلة ، و كذلك الفيلسوف (موسى بن ميمون) ، و الذي صاحب ابن رشد ، وسكنا في بيت واحد ، وعندما استقرّ في الفسطاط بمصر ، اتخذه صلاح الدين الأيوبي طبيبا خاصا له[2] ، كما تذكر كتب التاريخ أنه عندما تقدّمت الجيوش المسيحية نحو الجنوب الاسباني سنة 794هـ 1391 م، قاموا بحملة دامية لطرد اليهود ، حيث " لجأ الكثيرون منهم إلى الجزائر، فأسرع السكان العرب الجزائريون إلى بناء بيوت خشبية مرتجلة لإيواء مجموع اللاجئين وإغاثتهم ، وبعد سنوات قليلة أصبح هؤلاء اللاجئون أغنى تجاّر المنطقة ينقلون البضائع بين غربي أفريقيا وسواحل البحر الأبيض المتوسط حتّى سمّي طريق تلمسان التجاري عبر الصحراء (طريق اليهود) "[3] ، و لا تزال بعض الشواهد التاريخية التي تؤكد وجودهم المتميز ببلادنا ، منها مقابرهم ، و هو ما يدلل على مدى التسامح الذي عوملوا به ، بعد معاناتهم من المسيحيين في أوربا ، ذلك أن " اضطهاد الملوك الكاثوليك في اسبانيا لليهود دفع بعضهم إلى الهجرة والعيش في فلسطين ، وجاء هذا الاضطهاد بعد فترة التعايش الهنيء بين المسلمين واليهود في اسبانيا"[4] ، و هي ذات الحقيقة التي يعترف بها اليهود و يقرونها ، حيث قال أحدهم عن الأندلس الإسلامية :" أما البلاد التي لقوا فيها شيئا من الراحة فإسبانيا بعد أن امتلكها العرب فإن الفاتحين أحسنوا إليهم وأكرموهم وعاملوهم بالتؤدة والمعروف وتساوى الفريقان في العلم وطلبه والثروة والرغبة في التقدم والتمدن حتى بات يهود اسبانيا انعم بالا وأحسن حالا من إخوانهم في سائر أوروبا فاتخذوا الحرف والمهن العلمية والصناعية ونشأ بينهم الكتاب والشعراء والأطباء والماليون

[1] شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين، ص 81.

[2] علي خليل، اليهودية بين النظرية والتطبيق " مقتطفات من التلمود و التوراة ، ص10

[3] أحمد سوسة ، العرب واليهود في التاريخ ، ص 363.

[4] روجيه جارودي، ملف إسرائيل، دراسة للصهيونية السياسية، ترجمة : مصطفى كامل فودة ، ط3 ، دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، 1985م ، ص7.

والموظفون وأصحاب الفنون على اختلاف أنواعهم "[1] ، و هي شهادات يهودية تبين حقيقة الوضع المريح الذي كان ينعم به اليهود في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، بداية بالعراق و انتهاء بالأندلس مرورا بالجزائر و غيرها من الحواضر الإسلامية ، و المؤسف أن " هذه الحقيقة التاريخية التي أغفلنا استثمارها لصالح قضايانا، وغفلنا عنها ولم ننبه عليها "[2] ، خاصة و أن اليهود في الوقت الحالي انقلبوا ضدنا و تناسوا فضلنا السابق عليهم ، حيث "كتب و.برون، وهو يهودي، سنة 1919، يشير إلى السخرية الكامنة في أن كثيرين من اليهود قدموا للعرب المعاملة نفسها التي عانوا هم منها في أوروبا: نحن الذين نتعرض للاضطهاد في كل العالم، ونطالب لأنفسنا بكل الحقوق الإنسانية، نذهب إلى فلسطين لنقلب الأدوار "[3].

4 . أسباب اضطهاد اليهود :

يحاول اليهود جاهدين بإلقاء اللائمة على غيرهم من الشعوب و الأمم بشأن مسألة الاضطهاد الذي عانوا منه ، و يسعون إلى تحميل البشرية جمعاء وزر هذا الجرم ، و من ثم الاستفادة بجملة من الامتيازات نظير ذلك ، و أبسط تلك الامتيازات المرجوة ضمان سكوت غيرهم و حيادهم إزاء جرائمهم التي يرتكبونها في حق الفلسطينيين ، و هو مسعى غير مقبول من الناحية الأخلاقية لأسباب ، منها :

– أن المعاناة التي مر بها اليهود لم تكن عامة ، أو على الأقل أن المسلمين لم يكونوا طرفا فيها بشهادتهم ، و لذلك فإن تحميلهم وزر الجريمة أمر مرفوض من الناحية الأخلاقية و القانونية ، أما أن يتحول بعض المسلمين ضحايا لليهود فذاك ما لم يكن يتصوره عاقل .

– إن المعانات الكبرى التي عرفها اليهود كانت على يد المسيحيين في أوروبا، و ربما ذلك ما يسبب للغربيين نوعا من عقدة الشعور بالذنب ، و من ثم يسكتون عن جرائم اليهود في فلسطين .

غير أن الحقيقة هي أن المضامين العقدية لليهودية هي التي انعكست سلبا على اليهود ، و خاصة مسألة عقيدة الاختيار الإلهي لبني إسرائيل ، حيث تشير النصوص الدينية اليهودية الأساسية من توراة و تلمود ،إلى أن اليهود هم (شعب الله المختار) ، و الذين اصطفاهم الرب (يهوه) لنفسه دون بقية الشعوب الأخرى تبعا لمشيئته و رغبته ، و قد بدأ تاريخ هذا الاختيار حسب ما يؤمن اليهود باختيار الرب و اصطفائه لإبراهيم – عليه السلام – ، حيث يعتبره بنو إسرائيل أبا للشعب اليهودي و جدهم الأكبر " ونتيجة لذلك فإن اليهود لم يتوانوا في أن يطلقوا على أنفسهم عدة تسميات لاهوتية مميزة لهم ، منها: (عم عولام) = الشعب الأزلي ، (عم نيتسح) = الشعب الأبدي ، (عم قادوش) = الشعب المقدس، (هاعم هنفحار) = الشعب المختار ، و الملاحظ أن هذه المسميات لم تنشأ من فراغ، وإنما هناك عوامل تفاعلت بصورة مباشرة وغير مباشرة في ترسيخها

[1] شاهين مكاريوس، تاريخ الإسرائيليين، ص 89.

[2] عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية، ص112.

[3] كولن تشابمن، أرض الميعاد لمن؟ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي المستمر، ص356.

لدى الشخصية اليهودية، وردت في التوراة والتلمود وغيرهما من الكتب الدينية إضافة إلى ذلك الشعور الذي ينتاب اليهودي وهو ينظر إلى تاريخه الطويل الحافل بالنبوة والأنبياء "[1] ، و بذلك تشكلت تلك النظرة المميزة لدى اليهود ، حتى تحولت إلى صلب العقيدة اليهودية ، و من ثم صار " إيمان بعض اليهود بأنهم شعب مختار مقولة أساسية في النسق الديني اليهودي. وفكرة الاختيار تؤكد فكرة الانفصال والانعزال عن الآخرين وفي التلمود أنهم يشبهون بحبة الزيتون لأن لا يمكن خلطه مع المواد الأخرى، وكذلك جماعة يسرائيل يستحيل اختلاطهم مع الشعوب الأخرى "[2] ، و ما يؤكد ذلك هو معاني تلك العبارات ذات الدلالات الخاصة ، منها عبارة الشعب المقدس والتي يطلقها كثير من اليهود و خصوصا " اليهود الأرثوذكس، على الشعب اليهودي، باعتبار أنه شعب مختار له رسالة متميزة وسمات خاصة تميزه وتفصله عن الشعوب الأخرى، بل إن الفكرة تأخذ شكلا متطرفا أحيانا، فقد أتى في أحد كتب المدراش أن الشعب اليهودي والتوراة كان كلاهما من عقل الإله قبل الخلق "[3] ، و هو ما يبين عمق تأثيرها العقدي و الفكري عليهم ، و هو ما عمق عندهم فكرة الاختيار و الاصطفاء عن بقية البشر ، و بذلك صار اليهود يعتبرون " أنفسهم أنهم شعب الله، أنهم الشعب المختار، وأنهم أفضل الشعوب وأفضل أمة. أما باقي الشعوب فيأتون في الدرجة الثانية حتى ولو عبدوا الله الواحد "[4] ، و بذلك تجد أغلبهم إن لم نقل كلهم يشعرون في قرارة أنفسهم بالتميز التام عن باقي شعوب الأرض ، و لقد عملت التوراة على تشكيل ذلك التصور ، بدليل ما ورد في أسفارها ، و التي جاء فيها : (لأنك شعب مقدس للرب إلهك، قد اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض) [5] ، و في خطاب إلهي لليهود ورد في سفر آخر من أسفار التوراة ، قال : (والآن إن سمعتم كلامي، وحفظتم عهدي فإنكم تكونون شعبي الخاص بين جميع الشعوب، فالأرض كلها لي، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة) [6] ، وتتكرر الفكرة نفسها و ذاتها ، فقد جاء أيضا في التناخ : (أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب، وتكونون لي قديسيين، لأني قدوس، أنا الرب، وقد ميزتكم من الشعوب، لتكونوا لي)[7] ، و هي نصوص تؤكد مسألة الاصطفاء و التميز ، و قد زادتها نصوص التلمود تأييدا و توكيدا ، حيث جاء فيه ما يؤكد على قيمتهم المتميزة عند (يهوه) ، ففي المشنة العشرون من

---

[1] جمال البدري، السيف الأحمر، دراسة في الأصولية اليهودية المعاصرة، ط1 ، الأوائل للنشر و التوزيع و الخدمات الطباعية ، دمشق ، سورية ، 2003م، ص32.

[2] عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهودية واليهودية والصهيونية ، ط1، دار الشروق، القاهرة، مصر، 1999م ،ج5، ص72.

[3] نفس المرجع ، ج5، ص74.

[4] القمص روفائيل البرموسي، الحياة اليهودية بحسب التلمود، ط2 ، إصدار دير السيدة العذراء ، برموس ، القاهرة ، مصر ، 2004م ،ص 37.

[5] التثنية ، 40 : 21

[6] الخروج 19:5

[7] اللاويين ، 40 : 24

الفصل الثالث ببيرقي أبوت : " ما أحب بني إسرائيل. الذين تلقبوا بأبناء الرب. وقد ظهر فضلهم لأنهم تلقبوا بأبناء الرب. كما قيل. أبناء أنتم للرب إلهكم.[1]، و جاء في شرح هذه المشنا :" ما أحب بني إسرائيل. أي ما أعظم قيمتهم عند الله. – الذين تلقبوا بأبناء الرب. أي الذين لقبهم الكتاب بهذا اللقب. وقد ظهر فضلهم أي تبرهنت أفضليتهم على العالمين. لأنهم تلقبوا بأبناء الرب. كرر الجملة لتقريرها في الذهن "[2] ، و هو ما يعني بيان قيمة و مكانة اليهود عند ربهم (يهوه) باعتبار أنهم و لوحدهم أبناء له ، و بذلك صاروا يشعرون بالتميز المطلق ، و يؤكد تلك الحقيقة نص آخر جاء في التلمود ، و الذي يقول : (كما أن العالم لا يمكن أن يعيش بلا هواء، فإنه لا يمكن أن يعيش بدون إسرائيل)[3] ، و تبعا لهذا الاعتقاد ، صار اليهود يؤمنون بأن " أرواحهم مستمدة من الكيان المقدس، في حين صدرت أرواح الأغيار من المحارات الشيطانية والجانب الآخر (الشرير) والخيرون من الأغيار"[4] ، و نشأت بذلك نظرة الاستعلاء عن بقية الشعوب و الأمم غير اليهودية ، و التي سرعان ما تحولت إلى شكل من أشكال العنصرية ، و هو ما جعل البعض يطرح تساؤلات بخصوص حدود الشخصية الإسرائيلية تبعا لهذه الخلفية العقائدية ، لأنه " يمكن بسهولة أن نستنتج منه النزعة العنصرية التي تجعل الإسرائيلي يشعر أنه من جوهر غير طينة البشر جميعا، وأن هذا الجوهر منفرد بأسرار ومواهب لا توجد في غيره، وأن الإسرائيلي قد خلق كذلك بتدبير سماوي، لأن الدنيا التي أبدعها الله سبحانه وتعالى ما كان يمكن أن يستقيم أمرها من غير اليهود!! "[5] .

كما أفضى هذا الاعتقاد إلى مسألة أخرى و هي إدعاء التفوق الذهني و العقلي للفرد اليهودي عن بقية الأمم والشعوب الأخرى غير اليهودية ، و هو ما يعني تخصيص الحكمة في نظرهم ، و جعلها قاصرة عليهم دون غيرهم من أبناء الأمم و الشعوب الأخرى ، و هي الفكرة التي حاولت التوراة التأصيل لها عبر أسفارها العديدة[6] ، و من ذلك :

---

[1] المشنة العشرون ، الفصل الثالث ، بيرقي أبوت ، شمعون يوسف مويال ، التلمود، أصله وتسلسله وآدابه، ترجمه عن العبرانية و شرحه : شمعون يوسف مويال ، د.ط ، دار التكوين للنشر و التوزيع ، دمشق ، سوريا ، 2005م،ص 161.

[2] يوسف مويال ، التلمود، أصله وتسلسله وآدابه، ص 161.

[3] التلمود البابلي ، عبودة زارة ،10/ب – تعنيت ، 3/ب مدراش يلقوط على سفر زكريا 1969، نقلا عن : حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، ط3 ، دار القلم ، دمشق ، سوريا ، 1999م ،ص 9.

[4] عبد الوهاب المسيرى، الصهيونية والعنف... من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى، ص 30.

[5] حسن ظاظا، الشخصية الإسرائيلية، ص 9.

[6] عبد الخالق عبد الله جبة، مفهوم الجوييم " الأغيار" في الشعر العبري الحديث مع تأصيل للمصطلح في العهد القديم، مجلة رسالة المشرق ، جامعة القاهرة ، المجلد السادس ، الأعداد من 1 إلى 4، 1997م ،ص 188 ، 189.

– ما ورد في سفر أيوب : (إنكم شعب تنتهي الحكمة بموتكم) [1] ، و بذلك لم يجعل الحكمة قاصرة على الفرد اليهودي فقط، بل وتنتهي تلك الحكمة المزعومة من العالم بموت الفرد اليهودي.

– ورد كذلك في سفر إرميا : (جعلتك نبيا للجوييم (الشعوب الأخرى–الأمم الأخرى) [2] ، و هو يجعل من بني إسرائيل فوق كل الشعوب، بل نبيا عليهم .

– ورد أيضا في سفر إشعياء : (هو ذا عبدي الذي أعضده، مختاري الذي سرت به نفسي، وضعت روحي عليه، فيظهر الحق للأمم) [3] ، و هكذا تطور الأمر حتى صار اليهود يظهرون الحق للأمم الأخرى ، غير أن اللافت في التوراة أنها لم تحدثنا عن نماذج من هذا الحق .

و هكذا شكلت التوراة و التلمود ملامح الشخصية اليهودية الاستعلائية العنصرية و من منطلق ديني خالص ، و هي الخلفيات الدينية التي ساعدت البعض على فهم جيد لشروحات الحاخام ابن ميمون العنصرية ، و التي أكد فيها على أن اليهودي مقارنة بغيره مصنف " في الأعلى، وهو مجهز بدماغ وبروح إلهية قادرة أن تربطه بواسطة المعرفة بالخالق. وفي درجة أدنى يكون غير اليهودي مجهزا بدماغ –هذا أكيد– لكنه لا يملك روح إلهية. وفي أقصى الأسفل؛ أي في حدود الحيوانية يوجد الزنجي، وهو كائن غير عاقل، وبالتالي؛ تحركه –فقط– رغبات الجسد "[4] ، و بذلك فإن بن ميمون و انطلاقا من النصوص الدينية اليهودية ، يرفع من قيمة و مكانة اليهودي و في المقابل يحط من الآخرين و بشكل مزري .

و لذلك فإن ما ورد في التوراة و التلمود من نصوص عديدة حول مسألة الاختيار الإلهي لبني إسرائيل ، شكل عندهم مسألة عقدية هامة ، ذلك أن هذه الخلفية العقدية عندهم ساهمت في تشكيل " النظرة الإلهية التي تجعل من اليهودي شيئا غير عادي، ليس إنسانا بالمعنى الأرضي أو التقني أو بالمعنى التافه للكلمة، إنها تكلله بقداسة مثالية. بالنسبة لنيهير؛ إن اليهود شعب يقع على حدود الإلهي والإنساني، هو كاهن، ومربي، ونموذج ، يقع في قمة الهرم الإنساني. ، هذه النظرة التراتبية التي تعطي الفوقية والتفوق لليهود هي مورثة من التوراة. إنها معروضة ومشروحة بوضوح، وليس من جدوى بأن نبحث عن معنى رمزي مثير للجدل "[5] ، ذلك أن هذه الأخيرة هي التي وضعت اليهود في تلك المكانة ، كما تضافرت نصوص وشروح دينية أخرى و أدت في النهاية إلى رسم معالم العقيدة اليهودية بشأن مسألة عقيدة الاختيار الإلهي لبني إسرائيل ، و التي " مؤداها النخبوية

---

[1] أيوب 12 : 2

[2] إرميا 1 : 5

[3] اشعياء 42 : 1

[4] ألبيرتو دانزول ، اليهودية و الغيرية غير اليهود من منظار اليهودية، ترجمة : ماري شهرستان ، ط 1 ، الأوائل للنشر و التوزيع ، دمشق ، سوريا سوريا ، 2004م ،ص11–12.

[5] نفس المرجع ، ص39–40.

والخصوصية التي أضفاها الله تعالى –في زعمهم– على بني إسرائيل باعتبارهم يشكلون مملكة كهنة وأمة مقدسة حملتها العناية الإلهية رسالة مقدسة ومسؤولية دعوة الناس أجمعين إلى عبادة الإله الواحد الأحد "[1] ، غير أنهم لم يقوموا بهذا الواجب تجاه البشرية ، ذلك أن اليهودية و في مراحل تاريخية لاحقة تخلت عن تهويد غيرها من البشر ، و توقفت عن دعوة الناس إلى التوحيد ، و هو ما ساهم في انعزالهم عن بقية الناس من منظور عقدي ، و قد تراكمت الأحداث فصاروا يستصغرون غيرهم ، و من ثم ألبوهم ضدهم .

و بناء على ما سبق عرضه ، فإنه تبين لنا أن اليهود ، و في مراحل معينة من تاريخهم قد تعرضوا فعلا إلى الاضطهاد ، و خاصة في الأوساط المسيحية بأوروبا ، و لكن ليس بالشكل الذي يروج له اليهود حاليا ، ذلك أنهم يعممون الحكم على الجميع ، بل و يحاولون إلقاء اللوم على البشرية جميعا ، و يكفي أن هاته التهمة لا تنطبق على المسلمين و بشهادة اليهود أنفسهم ، و هي الحقيقة التي نعجز عن توظيفها حاليا ، نصرة لقضايانا العادلة ، و خاصة القضية الفلسطينية ، كما اتضح لنا كذلك أن اليهود ، قد استغلوا موضوع (اضطهاد اليهود) ، و وظفوه بشكل سياسي، بقصد تحقيق جملة من المآرب و التطلعات ، بعيدا عن الحقائق التاريخية الثابتة ، و التي أكدت أن هذا العداء الموجه ضد اليهود ، مرده بشكل أساسي إلى المعتقد اليهودي و الذي يعتبر اليهود شعب الله المختار ، مما أفرز عندهم نوعا من الاستعلاء على بقية البشر ، ثم أفضى ذلك إلى ممارسات عنصرية لم يتقبلها أغلب الناس، فعاملوا اليهود بما يستحقون .

[1] عرفان عبد الحميد فتاح، اليهودية عرض تاريخي، والحركات الحديثة في اليهودية، ص23.